حلقات سميكة متداخلة. يقترب الكلب، يلعق أصابعه، يفرز سائلاً لزجاً يسيل بين أصابعه، تتداخل مخالبُ الكلب في أسفل إبطيه، يخفض رأسه، ينزل عن الكرسي. يتزحلق هابطاً مربّعات المرمر، والساعة تشير إلى السابعة، وبعد خمس دقائق تصير الساعة السابعة وخمس دقائق. . .

لابنهِ الصغير بشرة بلون القمح، يتقافز هنا وهناك فوق الثلج، جمع كرةً من الثلج، وضع قبّعته الصغيرة على كرة الثلج، رسم أنفاً من الثلج، أنفاً طويلاً بعض الشيء فابتسم الطفل. جمع كومة أخرى من الثلج. فصنع من الثلج دمية أخرى، دميةً على شكل فتاة صغيرة. جلس الطفل العاري قبالة الدمية يغني ويغني.

ثلاثون عاماً بين هذه الأضابير الصفر ذات الرائحة الّتي تشبه رائحة احتراق الفئران الصغيرة، ثلاثون عاماً، ١٠٩٥٠ يوماً، ٣٦٠ شهراً، ٢٦٢٨٠٠ ساعة. وغداً يا عبد السميع بعد خدمة ثلاثين عاماً، تُحال على التقاعد. لقد وصل الأمر الوزاري بذلك قبل أيّام، وغداً سوف تنعم بصباح دافئ في الفراش القطني الممتدّ على سعة سريرك. عشرات آلاف من الساعات بين الأوراق. غداً لن توقّع في سجلّات الدوام الرسمي على حضور أو انصراف. ٣٦٠ شهراً بين الأوراق والممرّات وها أنت تترك بينْ تلك الأضابير والأوراق الّتي لها رائحة تشبه رائحة احتراق الفئران الصغيرة، جسدك النحيل المجزّأ. مازالت كلّ إضبارة أو ورقة تحتفظ بلمسة منك، ثلاثون عاماً، وها أنت ترتعش، ترتعش من الأعماق. وها أنت تغادر غرفة الأضابير الّتي بقيت فيها السنوات العشر الأخيرة.

بعد ثلاثة أشهر وجُد السيد عبد السميع ميتاً في حمّام بيته.

تنغرس مخالب الكلب بين أضلاع الصدر، تنزل خطوط حمراء منه، من فتحات الجلد، فتحات منتشرة مغطّاة بأكياس صغيرة من القيح، امتلأ قسم منها بسائل أسود اللون. يقترب أحدهم حاملاً حزمة أوراق، يرمي ثلاث أوراق ثمّ يكمل سيره إلى الممرّ الجانبي، والكلب لمّا يزل يلعق الوجه والعيون والأنف. تنفتح نافذة جانبيّة، يتأرجح قرصُ المستطيل. قرص المستطيل الّذي يحمل رقم ٥٤. يبصق، يمسح طرفي فمه. تُغلق النافذة. والكلب لمّا تزل مخالبه الحادّة السوداء تغوص في الجلد، بين أضلاع الصدر، أسفل الأنف، قرب العينين، يختلط السائل الحليبي اللّزج بالدم، تتطاير الأوراق بين الممرّات. ٥٤، أربعة وخمسون، الممرّ السادس، الغرفة السابعة، الطابق الثالث، ممرّ قصير طوله عشرون قدماً. الساعة تشير إلى التاسعة والربع، والثلث، وأربعون دقيقة. تسعون خطوة، ألف، مئة ألف خطوة، ١٠٣١٢ ليلة، ١٠٣١٣ نهاراً. تغوص الأنياب، تغوص عند الشعبة العاشرة، تُغلق النافذة، تقترب الجدران، تلتصق، تقترب الكلاب، ترتعش الأصابع، يحاول التخلُّص من الكلب ولكن بدون جدوى. قبل ساعة أعطوه الرقم ٥٤، نعم ٥٤. المخالب تغطّي الوجه تماماً. يقترب أحدهم بخطوات وئيدة، هادئة، يسير وفق خطٍّ مستقيم أبيض في منتصف الممرّ. يقف لحظة، يكمل سيره، خطوات بطيئة، بطيئة جداً. يضع سلسلة على رقبته تدلّت منها قطعة معدنيّة أخرى تحمل رقم ٥٣، سلسلة فضيّة ذات حلقات دائريّة متداخلة، سلسلة تمتدّ حتّى قضبان الباب الرئيسي. ثلاث وخمسون حلقة، في نهاية كلّ عام يرفعون حلقة. ابتعد عنه بخطوات سريعة. يسير وفق خطٍّ مستقيم أبيض في منتصف الممرّ، توقّف، سُلّم ينتهي بقبو ممتلئ بالماء. .

زحف الطفل العاري بطيئاً نحو الدمية. الدمية على شكل فتاة صغيرة ذات ضفائر شقراء متوهّجة من الثلج الأبيض، رصّعتْ حفرتا عينيها بزجاجتين زرقاوين لامعتين. اقترب الطفل أكثر، رفع الدمية إلى الأعلى. ضمّها إلى صدره، لعقها من الرأس، سقطت من بين أصابعه الناعمة. غضب الطفل بعض الشيء وبحركة شديدة من يديه، زحف نحو الدمية مرّة ثانية. تحرّكت الدمية، ابتسمت الفتاةُ الصغيرة ذاتُ الضفائر الشقراء واقتربت منه. احتضنها بشدّة، أشار بأصابعه إلى جهة النافذة، عضّت بنواجذها البيضاء على خدّ الطفل. ابتسم الطفل الّذي لبشرته لون القمح وتكوّر في نعاس هادئ عند أسفل كرسي خشبي عتيق. خرجت الفتاة الصغيرة ذات الضفائر الشقر من النافذة بعد أن تركت قبلةً ساخنة على راسه.

بغداد

المسيرة

صالح القاسم

سَلَخْتَ الجلدَ الأُسريَّ المنعَّم بحنان الأمومة ودفء الأخوّة عن بدنك، ورميتَ أسمالَك الممزّقة العابقة بعطر الحارات.

ولَّيْتَ وجهَك لظى الشّمس ـ ولهفة انتظار بنت الجيران تمرق من أمامك في شارع الثّلاثين. وصرتَ تجلس في غرفة قميئة غطّت جدرانَها الملصقاتُ، والعباراتُ، وتناثرت على أرضيتها المبلطة أعقابُ السّجائر، وبقعُ التّنخمات، والبصاق، ويعبق فضاؤها برائحة الأقدام والفساد. انحشرتَ في عمارة إربدية كبيرة لا تدركها الأنظار.

تلتقون، تجتمعون، تتناقشون، ترتعشون، تضحكون،

تخافون، يسبّ بعضكم بعضاً، تتقاتلون، تضحكون.. تضحكون.. تضحكون..

وفي صباح اليوم التّالي، وقبل أن تتوسّط الشّمسُ كبدَ السّماء، تمتشقون الشّوارعَ اللّوزية، وساحات الجامعة الاسفلتيّة النّاعمة تغطّيها سحبُ الحمائم القماشيّة البيض. تشدّون كلّ حمامة من قدميها الخشبيتين لينفرج القماش الأبيض صحائفَ حُبّرت باللّون الأحمر والأسود تحيّون ذكرى المناسبات الوطنية، وسقوط الشّهداء..

تدقُّون قفلَ الحرية بعناد، وتسيرون دون اكتراث.

ينظرون إليكم كومةً من حطب، أو شعلةً من غضب... أو كتلةَ خراء جوفاء تيبست قشرتُها غلافاً لبعض الصّراصير السّوداء الحقيرة.

ـ «من أنتم؟» أسأل.

أشدُّك من قميصك وأسأل، أهزّك بعنف وأنا أصرخ في وجهك:

ـ «ما لنا، ولهذه الأمور؟

ابتعدْ عنهم ـ

ستسقطون ـ

منكم وفيكم ستسقطون ـ

سيزجّون بكم في غياهب أماكن لا نعرفها، لا تدركها الأنظار، ولا يدلّوننا عليها ـ

ابتعد عنهم ـ؟؟»

أقتربُ من أنفاسه، أُمسكه من كتفه. ينظر إليّ صامتاً مطاطئ الرّأس بلا ملامح.

هل تأثّر بكلامي ـ وقتها ـ وتراجع؟

قبل أن أغادره، تكون فترة وقوفنا قد سلختنا عن المسيرة، فابتعدتْ. أعيد عليه الكلام، وفحوى النّظام. أنبّهه إلى الحرص على جامعته ودروسه فقط. يواصل النّظر، صامتاً لا يتململ؛ أتركه؛ أودّعه. لكن ليس قبل أن أعتذر منه: «أرجوك، لا تزعل من طريقتي الفظّة، أنت تعرفني، أنا قصدي مصلحتك، وخوفي عليك، وعلى مستقبلك». لكنّ اللّعين يبقى في مكانه جامداً لا يتحرّك. الأرض تحت قدمي تهتزّ لنبرة صوتي الرّاجية. هدوؤه ينمنم جسدي ويثير أعصابي. طريقة صمته هذه أَشعُرُ بها سياطاً يجلدني بها عقاباً واحتقاراً ـ كأنّه يبصق في وجهي أو يصفعني بحذائه المهترئ... لعلّه هذه المرّة يسمعني، يطيعني، لعلّه أقتنع بوجهة نظري، وسوف يتركهم.

أودّعه، منسلخاً عن مسيرة صاخبة لا تقف.

خماسيّة الأحذية المعدنيّة

فاتح عبد السلام

قصّة رقم (١)

صعد الحاجب على المنبر وخطب في النّاس:

ـ أيّها النّاس، إنَّ مولاي الوالي حزينٌ جدّاً منذ أنْ عرف أنّكم غير مرتاحين من احتذاء الأحذية الحديديّة ليلَ نهار. وإنَّ صاحب المودّة يشعر بأحوالكم ومعاناتكم كلَّ لحظة. ولكنَّه في الوقت نفسه لا يريد أن يجعلكم لقمة سائغة في فم الوباء الذي اكتسح المدينة قبل مئات السنين.

صرخ أحدُ العامّة: وما علاقة الوباء بالأحذية؟

فَهَمَّ الحرس أنْ يضربوه بأعقاب الرّماح على رأسه، ولكن الحاجب منعهم قائلاً:

ـ من حقِّ النّاس أنْ تسأل ما تشاء ومن واجبنا أنْ نجيبهم.

هتف حارس: يعيش عدل الحاجب في زمن الوالي العادل.

ردَّد الحرس: يعيش.. يعيش.. يعيش..

وقال الحاجب: وأصل الحكاية أيّها النّاس الكرام، أنَّ وباءً فتّاكاً حلَّ ذات يوم بالمدينة ولم يكن أحد يعلم بمصدره، فأمر الوالي أدامه الله بإحضار رئيس أطبّاء العصر.

هتف الحرّاس: أدام الله الوالي.

أكمل الحاجب: فجاء ابنُ سينا إلى البلاط وقال:

ـ سمعاً وطاعةً يا مولاي.

فقال له الوالي:

ـ أين كنت يا رئيس الأطبّاء، والوباءُ يفتك بأهل بلدتي؟.

قال ابن سينا: إنّي أعملُ ليلَ نهار يا مولاي في سبيل إنقاذ النّاس.

قال الوالي: وهل عرفت سبب الدّاء؟.

فأجابه: أجل يا مولاي.

ـ وما هو يا ابن سينا؟